


Université
Ibn Tofaïl
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - القنيطرة
Faculté des Sciences Humaines et Sociales - Kenitra
شعبة التاريخ والحضارة

الفصل: الرابع

وحدة: تاريخ الشرق الأقصى

الأستاذ: محمد مناقشي

المحاضرة رقم: 4

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2020-2021
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة تاريخ الشرق الأقصى
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: محمد مناقشي
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 4

حققت اليابان خلال القرن 16م نقلة نوعية مكنتها من الانتقال من الفيودالية والعصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وتمثل هذه النقلة في إجراء مسح عام للأراضي التي لم تقم به دول أوروبا إلا في القرن 19م. لا يمكن فصل فترة النصف الثاني من القرن 16م عن الحقبة التي اخترنا التركيز عليها، وإنما جرى إلحاقها بالتطورات الكبرى التي عرفها تاريخ اليابان من باب الحفاظ على السيورة التاريخية العامة.

إن دراسة تطور المجتمع الياباني ومؤسساته السياسية خلال عصر توكوغاوا أي منذ بداية القرن 17م إلى منتصف القرن 19م، توضح أن الفاعل الرئيسي هو الأمن والاستقرار الاجتماعي والسياسي، الذي كان بمثابة حجر الزاوية لكل ما حققه اليابان من منجزات وتطورات في عصر توكوغاوا. كيف تحقق هذا الأمن والاستقرار؟

إن تحقيق الاستقرار في مجتمع عاش حرباً أهلية دامت قرابة قرن من الزمن، كان يبدو أمراً شبه مستحيل في بداية القرن 16م، في وقت لم تكن القوة العسكرية وحدها كافية لردع الساموراي وإبعادهم عن حرفة الحرب التي تربوا عليها، فكانت أساس وجودهم وبقائهم. ولتحقيق هذا الاستقرار، كان من الضروري إعادة النظر في النظام السياسي القائم، و التفكير في أساليب جديدة تنقل المجتمع من ثقافة الحرب إلى ثقافة السلم، وهو الشيء الذي بدأه **تويوتومي هيدي- يوشي (1536 – 1598)**.

شكلت تعاليم كونفوشيوس أيضاً مرجعية لتحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي، فبتفعيلها على مستويات الأسرة والعلاقات الاجتماعية، والبنية السياسية، وتكريسها في مناهج التعليم، واتخاذها فلسفة وإيديولوجيا للحكم، استطاعوا ضمان ولاء الجميع لهم، و صرف الساموراي عن الإعداد للحرب. غير أن هذه المرجعية لم تحقق الأهداف المتوخاة منها دون مواكبتها بإجراءات وقوانين صارمة تضبط المجتمع، و ترسم لكل فئة أهدافها بدقة، وتحدد لكل فرد مكانته التي يجب أن يعيها و يتصرف بحسب موقعها من التراتب الاجتماعي، فجاءت النتيجة متمثلة في مجتمع منضبط أشد ما يكون الانضباط. وكان هذا الانضباط من أهم عناصر استمرار توكوغاوا، و سببا من أسباب قوة

النظام السياسي و الاجتماعي الذي أقامته، بل يمكن أن نعتبره سببا من أسباب نجاح إصلاحات الميجي، حيث كان من السهل على زعماء الإصلاح أن يتعاملوا مع مجتمع منضبط خاضع و ملتزم بالقوانين.

لم يكن متعذرا على **توكوغاوا إياسو (1542 – 1616)**، وهو مؤسس أسرة توكوغاوا، و أحد زعماء التوحيد، القضاء على **الدايميو**، وتأسيس حكم مركزي بعد انتصاره في معركة **سيكي - غاهارا (1600)**، غير أنه أحجم عن ذلك، و ارتأى أن من المفيد الحفاظ على الإطار العام لحكم **الباكوفو**، و هو المصطلح الذي يعرف بحكم **الشوجون** منذ أواخر القرن **12م**، و تكييف إفرزات الحرب الأهلية ضمن علاقة مستحدثة بين الشوجون والدايميو.

كان **إياسو** معجبا بمؤسسي الدول الصينية، خاصة مؤسس دولة **تانغ (618 – 907)**، وكان مستشاره **هياشي رزان** (منظر حكم أسرة توكوغاوا، وأشهر معلمي الكونفوشيوسية الجديدة في عصره) يضع **إياسو** في مرتبة لا تقل أهمية عن مرتبة أباطرة الصين، ولذلك كان ممكنا أن يحدو **إياسو** حدو من أعجب بهم، و يقيم حكما مركزيا يلغي فيه حتى المؤسسة الإمبراطورية، إلا أن مسار اليابان التاريخي و إكراهات المجال منعه من الإقدام على مغامرة يعرف مسبقا أن مآلها الفشل. و قد حاول قبله أباطرة اليابان في عصري **نارا (710 – 787)** و **هيبان (794 – 1192)** إقامة حكم مركزي على غرار الصين، إلا أنهم لم يسيروا به بعيدا، حيث تعذر عليهم رعاية جيش نظامي، و إحكام السيطرة على أرض جبلية وعرة. كما حاول الساموراي في نهاية القرن **12م** إقامة نظام عسكري قوي، غير أن المحاولة انتهت إلى حرب أهلية بعد أن عجز حكم أسرة الساموراي الثانية عن إحكام السيطرة على الأقاليم التي استقل بها الحكام العسكريون، وغيرهم من ذوي النفوذ.

شكل هذا النظام الذي أطلق عليه المؤرخون اليابانيون اسم **باكوهان** تجربة منفردة، فهو يجمع بين معظم خصائص النظام المركزي: السيطرة على المجال، التحكم في العلاقات الخارجية، مراقبة التجارة مع الدول الأجنبية، ضبط حركة المواصلات، وضع الطرق تحت مراقبة الإدارة المركزية، إصدار قوانين يمثل لها الجميع، التحكيم وفض النزاعات، مراقبة الطوائف الدينية وغيرها و استقلال ذاتي ذي خصوصيات فيودالية واضحة.

إنه نظام يختلف عن أنظمة الحكم المركزي، فالشوجون لم يعتمدوا على الجباية المباشرة التي تتطلب جيشا وجهازا إداريا مكلفا، إذ اعتبروا أنفسهم مجرد رؤساء لواحدة من أسر الدايميو التي لها مداخيل تحصل عليها من الأراضي التابعة لها بشكل مباشر، كما أنهم لم يرفعوا جيشا نظاميا، و في المقابل رتبوا لاستنفار قوات الدايميو عند الحاجة. هذه

الخصوصيات التي تميز بها نظام الباكوهان تستعصي دراستها وتحليلها بالاعتماد على معايير التاريخ الأوروبي، و من هنا جاءت حيرة المؤرخين الأوروبيين الذين يسعون إلى دراسة هذه الفترة من تاريخ اليابان، وإخضاعها لمعايير التاريخ الأوروبي. والحقيقة أنه يجب وضع التجربة اليابانية في إطارها التاريخي الخاص، و تحليلها من خلال المفاهيم التي طورها المؤرخون اليابانيون أنفسهم.

وضع المؤرخون الغربيون النظام السياسي والاجتماعي لعصر توكوغاوا ضمن تصنيفات لم تخرج عن نطاق التصور الأوروبي للتاريخ، و أطلقوا على هذا العصر نعت: الفيودالية المتأخرة أو الفيودالية المتمركزة.

إن تشابه مقدمات النسق الفيودالي في كل من أوروبا واليابان، و اختلاف النتائج في كل منهما يدفعنا إلى القول بأن قراءة تاريخ اليابان من منظور أوروبي، و إخضاعها لمعايير التاريخ الغربي أمر غير صائب. فالتجربة اليابانية تبقى منفردة في خصوصياتها، و يجب النظر إليها بعين خالية من الأحكام المسبقة والأنماط الجاهزة .

قد يكون من السهل دراسة التجربة اليابانية أمرا نظريا، إلا أنه لا بد من الالتفات إلى خصوصية هذه التجربة. رغم تهميشها ظلت المؤسسة الإمبراطورية لها اعتبار خاص حاضرة في المراسلات الرسمية و غير الرسمية، التي تحمل التأريخ بعهود الأباطرة، مما يعني أن الإمبراطور هو صاحب الكلمة العليا، وهو أمر يشبه إلى حد ما الخطبة باسم السلطان أو الخليفة على منابر صلاة الجمعة، والتي يذكر الإمام فيها بأمر المؤمنين أو الخليفة أو السلطان.

لم تكن العزلة، وعلاقة اليابان بالدول الغربية و تجاراتها في آسيا إلا محفزا لهذا البلد للوقوف في وجه التدخل الغربي، الذي وظف التبشير و التجارة ابتداء من القرن 16م، و كان محتملا أن ينتهي الأمر إلى إخضاع اليابان للحكم الأجنبي، أو اقتطاع جزء منه، إلا أن اليابان عاش خلال مرحلة العزلة في انسجام مع محيطه الآسيوي.